

من قضايا ثقافتنا فقه اللغة

تعد اللغة العربية أكثر اللغات ارتباطاً عضوياً، أي دعوة لقناعتاً ومحكوماً، كما ترتبط بالعلاقة بالفردية والجماعية والأمية والدور وتحكمها ذات عليّة تنبع من إرادة الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون.

والإسلام لا يعتنى ولا يهتم بدفاع عنه أو هاجمه، لأنه سلو ودين فطري السليقة، دين الفطر بصرف النظر عن ديانة الفرد المجتمع، به مقتنعات عناصر قو وجوده بدون أن يهتم بمن يهاجه لأنه إنما يهاجم مثلاً وقواء وسلوكاً تحمل عناصر وجود وقوتها من ذاتها وذاته.

أضف أن كثيراً من الناطقة بالعربية لا يجيدون فهم الإس فهاهم جيداً، لأنه بحر واسع لا قرار ولا نهاية، رغم بساطة معانيه، حد أن الإسلام مرتبط كذلك بنصوه القرآن الكريم رباطاً عضوياً ينفصل عنه، يأتي من معاني المتعددة والمختلفة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول «إنا نحن نزلنا عل القرآن تنزيلًا» (الإسراء: ٢٣) يعني مراد لله سبحانه وتعالى، بعد ليس لك إرادة ولا فلاح إرادة الله ف كتاب أنزل إليك فلا يكن في صد حرج منه» (الأعراف: ٢) - «وبالذ أنزلناه وبالحق نزل» (الإسراء: ٥) - «الحمد لله الذي أنزل على عب الكتاب ولم يجعل له عوجاً» (الکهة: ١).

أما لغة القرآن فإن الله سبحانه وتعالى خلقه قرآناً عربياً يقرأ ويقرأ باللغة العربية. فيقول الله سبحانه وتعالى «إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلمك تعقلون» (يوسف: ٢) - «وكذ أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه الوعيد» (طه: ١١٣).

أضف إلى ذلك أن هذا القرآن سلسلة من الكتب السماوية منذ الخليفة، وهو العهد الأخير من أسبحة الله سبحانه وتعالى، أي ختام الرس السماوية «قل آمنا بالله وما أذ علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعق والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» (آل عمران: ٨٤)، وانظر كذلك آ ١٣٦ من سورة البقرة.

وكل هذا يثبت أن دين الإسلام السلوك الفطري للبشر جميعاً بدء الخليفة، فيقول الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران (١) «إن الدين عند الله الإسلام» وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم و يكفر بآيات الله فإن الله سر الحساب.

ومن ثراء وجمال ومعجزات الل العربية أن الحروف الثلاثة (الله واللام والميم) في قواميس الل بنفس الترتيب مع زيادات في أو آخرها أو بين الحروف تعني الل المعنى الذي ينحصر في الر والارتقاء والمصالحة والتحية والاحساب.

النيروز: رأس السنة

عيد الشهداء

يحتفل الأقباط بعيد النيروز - القبطية إلى الشهداء - شهداء وعشر سنوات. وإن كان هذا التذ جذوره مصرية قديمة تمتد إلى

وهذه الاستمرارية الحضيا حتى مع تغيير الديانة - سمة نراها في عادات مصر أخرى. وهي سمة هامة تترجم ولأه المصري لوطنه وترا وارتباطه بجذوره الحضارية ا تضرب في أعماق الوطن وتارة



ناصر

قضية في رسالة:

تعليق على كلمات الطاهر بن جلون:

مسألة الانتماء العربي.. والازدواجية الثقافية

حول الحوار الذي أجرته صفحة «فكر عربي» في الأسبوع قبل الماضي مع الكاتب المغربي الطاهر بن جلون، جاءنا هذا التعليق من القاص المصري ميلاد حلمي الذي يعيش في باريس منذ سنوات، وصدرت له رواية بالعربية بعنوان «المسوخ».

يقول ميلاد في تعليقه:

من يقرأ كلمات الكاتب المغربي الطاهر بن جلون، يدرك على الفور مدى المآزق الثقافي وربما الحضاري الذي يعاني منه عدد لا يستهان به من المثقفين المغاربة الذين يتكلمون ويكتبون بالفرنسية.

فالازدواجية الثقافية تحسب لهم، إذا قيس بمقياس الانفتاح على الثقافة العالمية، وتحسب عليهم إذا أدى هذا الانفتاح إلى ضياع الهوية وصراخ أحدهم كحال الطاهر بن جلون.

أنا كاتب عربي بالطبع!

وقد نفهم هذه الصرخة إذا كان بن جلون كاتباً صحفياً، وقد نفهمها إذا كان متخصصاً في العلوم أو الرياضيات، باعتبار أن اللغة في العلوم ليست إلا وعاء، أما مشكلة بن جلون الحقيقية فهي أنه يكتب في الأدب.

وغرابة صرخة بن جلون لا يفوقها غرابة سوى الحوار الذي أجراه هو نفسه قبل فترة مع الفكر المغربي عبد الكبير الخطيبي لصحيفة «لوموند» الفرنسية، والذي أكد فيه الخطيبي أن فرنسا تحتضر ولن يبقى منها سوى لغتها، وأن الأمة العربية ستقرض ولن يبقى منها سوى أفرادها. ومن حديث الخطيبي في صحيفة «لوموند» نلاحظ مدى اهتمامه باللغة دون الخوض في المعطيات الأخرى، ومن حديث بن جلون في «الأهرام» نلاحظ مدى إنكاره لدور اللغة كمحرك أول وحقيقي في اختيار الأدب. وهنا تكمن المفارقة بين فهم الرجلين الكاتبين. ولشك أن إصرار بن جلون على اعتبار أدبه أدباً عربياً يفرض علينا مضطراً حديثاً جديداً مثل:

● هل أدبه المكتوب بالفرنسية هو أدب عربي لأن اسم الكاتب عربي، أم لأنه يعالج بيئة ومناخاً عربياً؟

فإذا كانت الأولى - أي لأن الاسم عربي - لسارعنا بضم مسرحيات جورج شحادة، واندرية شديد إلى حظيرة الأدب العربي، وهو ما لا يمكن تصوره بالطبع!

أما إذا كانت الثانية - أي لأن البيئة عربية - لكان علينا أن نطالب بنفس الشيء لرباعيات الإسكندرية التي ألفها كاتب أجنبي.. وهو ما يصعب تصوره أيضاً!

ما أريد أن أقوله هو أن مشكلة الأدب هي أنه ابداع.. وأنه خلاق، ويجب أن يكون له هدف، ليس فقط في المضمون ولكن أيضاً في اللغة وتعبيراتها وتراكيبها واستقلالها. الأدب يعني إثراء اللغة وتطويرها لتساير تغيرات المجتمع، وتدفعه إلى الأمام.

إذا ارتبطت اللغة بصراع حضاري، وإذا أصبحت في حد ذاتها إشكالية ورمزاً كما هو الحال في المغرب العربي - أصبح الاختيار - إن كان الاختيار ممكناً - ذا دلالة. وبين جلون مجيد العربية، وقد فضل الكتابة بالفرنسية. وإذا كان بن جلون ينكر اللغة وأهميتها، فقد دفع ثمن ذلك باهظاً في أدبه. فخصوصية التعبير الأدبي يقصد بها ما تتميز به كل لغة من تراكيب تخضع لعوامل وآليات متعددة، منها الذاتي ومنها الموضوعي.

أما الذاتي فيتعلق بالجانب الأسلوبى، وما يتضمنه التعبير من خبرة شخصية للكاتب تحمل في ثناياها ملامح البيئة والحضارة والوعي. أما الموضوعي فيتعلق بارتباط هذا التعبير بلغة ما تستخدمها بيئة جغرافية واجتماعية معينة، بل وعصر محدد.

وتفاعل كل هذه العوامل هو الذي يخلق الصدق الأدبي، وهو الذي يخلق القيمة الجمالية في العمل الأدبي، وهو الذي يؤثر في وجدان القارئ في النهاية.

فالأدب يتنفس مجتمعه وعصره، ويتقبل تفاعلاته بلغته، ثم يتعامل معه بنفس اللغة. وأي خلل في العوامل السابقة يخلق تناقضاً في العمل الأدبي.. وهذا ما أتصور أنه يحدث في أعمال بن جلون.

فحين تناول النفس العربية في أجواء مغربية وحاول معالجتها باللغة الفرنسية حدثت الفجوة، وضاع الصدق. فقارئ أعماله بالفرنسية قد يتعاش مع جو الرواية ومناخها المغربي، وقد يستطيع الكاتب نقله إلى هناك، ولكنه - أي القارئ - يحجز عن تصور هذا الحوار الذي يدور سلساً في الفرنسية ولا يجد له مرادفاً شائعاً في العربية، وإن وجدناه ففي غير مستوى الشخصية المغربية ويصعب إجراؤه على لسانها، وهو ما يؤدي إلى اختفاء الصدق الأدبي.

أما إذا ابتعدنا عن المغالاة ونادينا بعملية الأدب، فلا ننسى أن الأدب العالمي هو الأدب القادر على هز النفس البشرية في أي مكان. وبالأحرى في المكان الذي نشأ فيه الأدب أو البيئة التي خرج منها.. فهل أثر بن جلون في بيئته المغربية بأدبه المكتوب بالفرنسية؟

الإجابة - هي بالنفي، لأن أعمال بن جلون تعيش مأزقاً لا يختلف كثيراً أو قليلاً عن مئات الآلاف من المغاربة الذين يعيشون كغرباء في فرنسا، وحين يعودون إلى بلادهم في الإجازات الصيفية، يتعامل أهل البلد معهم كسياح غرباء!

قد نفهم مشكلة بن جلون لو صرخ قائلاً: أنا سجين اللغة الفرنسية! وقد نفهمه لو كان أهل بلده يرفضون اللغة العربية ويطلبون أدباً فرنسياً! لكن للأسف - اللغة العربية هي الوحيدة القادرة على لمس الوجدان العربي. فتاعتى في النهاية هي أن الطاهر بن جلون قد يكون كاتباً عربياً يكتب موضوعات عربية، ويثرى اللغة الفرنسية، لكنه لن يكون أبداً، أدبياً أو مبدعاً عربياً.

يختلف عما
البنى غير
أى شبه
كل البنائى
حكم عليها
إنما يكون
يستكشف
الذى هو
بلاقي في
أى أو السنة
فما ليس
تتخضع
طبق عليه
الأدب والتفن
هى ان تؤدي
المنطقية
العلمية
أمريكا ثلاث
استناداً
الإسلامية ثم
بالسفارة
يضم إلى
بث في بناءه
ية والتزود
ة والمحلية
فات سكان
بى زارها، بل
سات حتى
يات الذين
لاهوتية
فة أنفسهم..
غة الغريبة
تجريبياً أو
ما بشوهدا
من يتوقع -
ووجدانات
صرية - الأمر
ن يرسم لنا
بغى للثقافة
فوق خريطة
ياء التراث
كة والتقليد،
رية والأدبية
أفيما هو
ع المستلهم
بناء الثقافي
ليه لنفسه
القدرة على
دان معاً، أى
ة التراث
ب وتقنياته
تجريبى